توجيهات الطلاب والعوام إلى فقه آداب الطعام

توجيهات الطلاب والعوام إلى فقه آداب الطعام

خطبة جمعة:

(2/جمادي الثاني/1427هـ)

)للشيخ المحدث: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري -حفظه الله تعالى-(

==========

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))[آل عمران:102]. ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا))[النساء:1].((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا))[الأحزاب: 71-70].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس! يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ((وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ))[النحل:53]. ويقول سبحانه وتعالى مبيناً لنا بتذكر نعمة الله: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ))[فاطر:3]. ويقول الله سبحانه وتعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ))[المائدة:20]. لما أخبرهم وحداهم على شكر النعمة: ((يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ))[المائدة:21]. ويقول الله عز وجل في كتابه الكريم مخبراً أن النعمة تدوم بالنعمة وأن النقمة تحل بالنقمة، قال الله عز وجل: ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ))[الأنفال:53]. فالنعم لا تزول إلا بزوال الشكر، وتدوم بدوام الشكر. فإذا دامت نعمة الطاعة، دامت على الإنسان نعمة الدنيا والذخرة. وإذا حلت نقمة المعصية، حلت على الإنسان نقمة الدنيا والذخرة.

وانظروا إلى من قابلوا نعم الله عليهم بالمعاصي كيف سلبت تلك النعم: ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ))[النحل:112]. وقال سبحانه: ((لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ))[سبأ:17-15].

إن نعم الله سبحانه وتعالى بأصنافها وأنواعها تثبت بطاعة الله وتزول بمعصية الله، ومن تلك النعم نعمة المطعم والمشرب والمسكن والملبس، فإن الجوع موتٌ، وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فقال: {اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع}. وإذا جاع الإنسان قد لا يذوق النوم. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فوجد أبا بكر وعمر فقال: {ما أخرجكما؟ قالا: الجوع. قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما. انطلقوا إلى بيت أبي الهيثم مالك بن التيهان. فوجدوا امرأته فسألوها. فقالت: ذهب يستعذب لنا الماء. فبينما هو كذلك إذ أتى ذلك الأنصاري رضي الله عنه فقال: مرحباً وأهلاً، ما أحد أكرم أضيافاً مني اليوم، ثم أتاهم ببسر وتمر ورطب. وأخذ المدية وذبح لهم. فأكلوا حتى شبعوا. وقدم لهم الماء البارد فشربوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لتسألن عن هذا النعيم. لأخرجكم من بيوتكم الجوع. ولم تنصرفوا حتى أصابكم هذا النعيم؟}.

وشاهدنا من هذا: أن الجوع موتٌ. وأنه يشق على الإنسان الصبر عليه. قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله لقد كنت أشد على بطني الحجر من الجوع وأصحاب الصفة رضوان الله عليهم. كان أحدهم يسقط من قامته من الجوع. فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم وهم يصلون. فيبشرهم بما أعد الله لهم فيقول: {لو تعلمون ما أعد الله لكم لتحببتم أن تزدادوا فاقة} أي: فقراً وجوعاً. لأنه موتٌ وهم صابرون على ذلك.

أيها الناس! إن نعمة المطعم والمشرب نعمة عظيمة. قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ((لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ))[قريش:4-1]. امتن الله بها على عباده، فليس لأحد تلك النعمة إلا الله سبحانه وتعالى: ((أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ))[الواقعة:73-63]. وبنو إسرائيل يسألون نبيهم أن يدعو الله لهم أن يعطيهم مائدة. لما جاعوا ولم يصبروا على الجوع سبب لهم ذلك التوبد على نبيهم. قالوا: ((هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ))[المائدة:113-112]. فدعا الله عز وجل لهم بتلك الدعوات: ((قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ))[المائدة:115]. النعم إذا قوبلت بالكفران استحقت غضب الله سبحانه وتعالى على ذلك العبد.

ألا وإن من نعم الله سبحانه وتعالى ومن ثبات النعم أن يعرف حكم الله في هذه النعم وفقه تلك النعمة. وكيف يتعامل الإنسان مع النعم تعاملاً شرعياً يرضاه رب العالمين سبحانه وتعالى. ومن ذلك التعامل أن الإنسان يتحرى في هذه النعمة أن تكون من الطعام الحلال والشراب الحلال. فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً}. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ))[البقرة:172]. وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا))[المؤمنون:51]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب.. يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له؟. ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت. النار أولى به}. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقبيصة: {وما سوى ذلك من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً}. وشاهدنا أنه من الواجب على المسلم إذا أراد أن ينتفع بهذه النعمة في الدنيا والذخرة أن يتحرى فيما الحلال ولا يشوبها بالحرام.

ومن معرفة وفقه هذه النعمة أن تبسط الأنطعة وما يسمى بالسفر تحت الطعام حتى لا يضيع منه شيء. وحتى يتلافى ما تساقط منه كما أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسح ما تساقط من الطعام وما يستطاع مسحه وأكل ذلك. حفاظاً على هذه النعمة وجد النبي صلى الله عليه وسلم ثمرة ملقاة في الطريق. فقال: {لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها}. إنه خلق عظيم منه وتأديب كريم لأصحابه. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان هو وأصحابه في غزوة تبوك أصابتهم مجاعة. فقالوا: {يا رسول الله! ائذن لنا فلنحر بعض نواضحنا فأذن لهم شفقة ورحمة عليهم من شدة الجوع. لو أذنت لنا فنحرنا فأكلنا وادهنا. فأذن لهم. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم عمر وقال: يا رسول الله! لو أذنت لهم قل الظهر. ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله على ذلك بالبركة. فلعل الله أن يجعل في ذلك البركة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم. فدعا بنطع فبسطه. ثم دعا بفضل أزوادهم. فجعل الرجل يجيء بكف ذرة. ويجيء الآخر بكف تمر. ويجيء الآخر بكف نوى. ويجيء الآخر بكسرة. حتى اجتمع على النطع -على البساط- شيء يسير. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فأكلوا حتى شبعوا. وما بقي إناء في العسكر إلا ملئوه. وفضلت فضلة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. لا يلقى الله بهما أحد غير شاك فيحجب عن الجنة}.

شاهدنا من هذا الحديث: الحفاظ على النعمة بوضع البساط بحيث لا تداس بالأقدام. فرسول الله صلى الله عليه وسلم يعم أن يأكل تلك التمرة الملقاة في الطريق. وأنت تدوس الطعام برجليك! وأنت تتركه يعبث به الأطفال! هذا وليس معناه أنك تقبل كما يفعل بعض الجهلة تقبيل الطعام. فإن هذا من المحدثات. وقد نعينا عن تقبيل الجمادات إلا ما جاء به الدليل كتقبيل الحجر الأسود. وعلى هذا فيعلم من ذلك أن هذه النعمة تحتاج إلى حفاظ. ومن أهم ما يحافظ على تلك النعمة من أحكامها وفقهها التسمية على الطعام. روى الشيخان في صحيحيهما من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: {أنه أكل عند النبي صلى الله عليه وسلم وكانت يده تطيش في الصحفة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك}. فوعظه وأدبه على الطعام بهذا الفقه العظيم. قال عمر: فكانت تلك طعمتي. أي: استمر على ذلك إلى أن مات. وأمره بالتسمية والتسمية على الطعام واجبة. والله يقول: ((وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ))[الأنعام:121]. ويقول سبحانه: ((فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ))[الأنعام:118]. فحرام الأكل من شيء لم يسم الله عليه. سواء كانت ذبيحة أو غير ذبيحة. فمن تعمد ذلك -أي: ذبح على غير اسم الله- أثم وحرمت ذبيحته. ومن لم يتعمد ونسي ذلك لم يأثم ويرتفع عنه الإثم للنسيان: ((رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا))[البقرة:286]. وتحرم تلك الذبيحة لعموم الآدلة في ذلك، هذا هو الصواب في هذه المسألة. وقد زجر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أكل عند النبي صلى الله عليه وسلم بشماله. قال: {كل بيمينك. قال: لا استطيع. قال: لا استطعت. ما منعه إلا الكبر}. فبيست يد ذلك الرجل لذنه أكل بشماله. ولذن الأكل بالشمال تشبه بالشيطان. كما روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال النبي صلى الله عليه وسلم: {لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله. فإن الشيطان يأكل ويشرب بشماله}. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشبه بالشيطان في الأكل بالشمال. ومن حديث جابر عند الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إذا دخل أحدكم بيته فقال: باسم الله. قال الشيطان: لا مبيت لكم. وإذا سمى على عشائه. قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. فإذا دخل بيته فلم يسم الله. قال الشيطان: أدركتم المبيت. فإن لم يسم الله على عشائه. قال: أدركتم المبيت والعشاء}. فالشيطان يستحل الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه. كما في حديث حذيفة عند الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إن الشيطان يستحل طعامكم ألا يذكر اسم الله عليه}. حين أن سمى النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله. وجاء أعرابي كأنه يدفع يريد أن يأكل معهم فوسمكه النبي صلى الله عليه وسلم. فلابد من التسمية من جميع الذكرين. إلا من كان صغيراً فلا بأس أن يسمى عنه. لعموم هذا الدليل. التسمية على الطعام واجبة وهي من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً. {فلما دعا أبو هريرة أولئك أصحاب الصفة حين أتي النبي صلى الله عليه وسلم بلبن وجلسوا وأخذوا يجالسهم. قال: خذ فاعطهم. فأخذ أبو هريرة وجعل يعطيهم. فلما شربوا عن آخرهم قال: اجلس فاشرب. فشرب أبو هريرة. قال: اشرب. فشرب. ثم قال: والله يا رسول الله لا أجد له مسلكاً. ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمى وشرب الفضلة}.

من فقه هذه المسألة هذه النعمة النكل باليمين لحديث عمر بن أبي سلمة المتقدم. ولحديث سلمة بن الأكوع. ولأكل هو يليك ولا تحيش اليد في الصحاف أو في الأطعمة. فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك. وثبت عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: {أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح ثم بقي في مكانه يذكر الله حتى طلعت الشمس فأتي بصحفة قد ثرد فيها يجلسها أربعة رجال. فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه. وجلس الناس. فقال أعرابي: ما هذه الجلسة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: إما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلوا من جوانبها ودعوا وسطها فإن البركة تنزل}. وثبت ذلك أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه.

هذا من آداب وفقه هذه النعمة أن يؤكل من جوانب الطعام ومن حافته. ولا يؤكل من وسطه حتى يصلوا إلى وسطه. آكلاً من جوانبه حتى الوصول إلى وسطه. وكل يأخذ من جانبه.

من فقه هذه: تقديم الطعام إلى الضيف. فإن هذا فعله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ))[الذاريات:27-24]. هذا أدب عظيم من آداب الطعام: تقريبه وتقديمه إلى الضيف. وهكذا العرض على الضيف: ألا تأكل أو قوله: كل. وقد فعل ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قدم الطعام إليهم قال: كلوا. وليس في ذلك ما ينكر. بل هذا من السنن. واعلم أن ما يستنكف كثير من الناس من أكل الطعام المتساقط بعد تنظيفه. أن هذا من المنكرات. فإن بعضهم يقول: إذا سقطت بعد إماطة الذي عنها ربما يرى الناس هذا الوسام فيقولون: هذا ما عنده نظافة. أو هذا دينهم دين ليس لديه مال كثير أو نحو ذلك. وما قد ذكره وسئل عنه. ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعهد ذلك في أوساط الناس لبين لهم أن هذا سنة.

ومن هذه الأمور وفقه هذه المسألة الاجتماع على الطعام الذي تغشى ضده في هذه الأونة المتأخرة. حتى إنك ترى المتأثرين بالغرب أو المتأثرين بالكافرين الرجل وأهل بيته. هذا يأكل في صحن وذاك يأكل في صحن وذاك.. يجلسون في البيت كل واحد في جانب يأكل. وهذه طريقة مخالفة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. {وإنما شكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم عدم الشبع. قال: لعلكم تتفرقون؟ قالوا: نعم. قال: اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه}. وفي الصحيحين عن أبي هريرة : {طعام الواحد يكفي الاثنين. وطعام الاثنين يكفي الثلاثة. وطعام الثلاثة يكفي الأربعة}. وفي وسلم عن جابر : {طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة. وطعام الأربعة يكفي الثمانية}. وفيها ذكرنا من حديث أبي سعيد أيضاً الاجتماع على الطعام. وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: {أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل مجهود من شدة الجوع. قال: يا رسول الله إني مجهود. فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبياته وكل امرأة تقول: والله يا رسول الله ما عندنا إلا ماء. ما عندنا شيء} . لم يجدوا له تمرة واحدة. فلهذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم لمن أضافه. قال: {ألا رجل يضيف ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمه الله}. فيه الدعاء لمن أكرم الضيف. {فأخذه أبو طلحة فانصرف به إلى بيته. وقال لنعلمه: أطعميه طعام الصبية وعللي الصبية ونوميهم -أي: تحتال عليهم وتتوهمهم- ثم إذا نضج الطعام أطفئي السراج وأريه أنا نأكل معه. أي: وهم مجتمعون معه. ففعلت ذلك. وجعل الضيف يأكل. فلما أصبح أتوا النبي صلى الله عليه وسلم. فقال صلى الله عليه وسلم: لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة}. أكرماه وجلسا معه وهو ذاك فإنك ترى الضيف يأنس بالجلوس معه. قدم سلمان على أبي الدرداء وكان أبو الدرداء صائماً. فصنع أبو الدرداء طعاماً لنخيه سلمان. وهو أخوه في الإسلام. ثم قدمه له. قال: لا أكل حتى تأكل اجلس. فجلس معه فأكلا جميعاً. وهكذا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأمر بذلك: {اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه}. ثبت من حديث سمرة بن جندب. قال: {أكلنا من قصعة على عشاء تجلس عشرة وتقوم عشرة. قالوا: فمن أين كانت تمد؟ قال: وهم تعجبون. ما كانت تمد إلا من هاهنا وأشار إلى السماء}. وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه: {أخبر أبو طلحة بجوع النبي صلى الله عليه وسلم فبعثت أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من الخبز ولفته وأتاه أنس به. قال: أومعك طعام؟ قال: نعم. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وانطلقوا وكانوا كثيرين جداً. وكان الطعام قليلاً. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هل عندك شيء مما يؤدمه؟ فأتت بعقة فأدمت ذلك الخبز. ثم فته النبي صلى الله عليه وسلم وقال: اجلسوا عشرة عشرة. وكانوا يجلسون عشرة عشرة على ذلك الطعام يسمون ويأكلون وينصرفون}.

هذا من أحكام وفقه هذه المسألة مسألة هذه النعمة أنه يجتمع عليها ويخالف المشركون. ويخالف المقلدون للكافرين في التفرق على الطعام. كل واحد مع صحنه بمفرده. هذا غلط مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس! إنه ينبغي العناية بأحكام دين الله. ولا ينفعل أيها المسلم أن يزجل عليك الناس بالحواس أو بما ينفخ به في سماعك وفي وقتك وأنت جاهل بدينك لا تعرف تأكل كما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا تعرف تلبس كما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا تعرف تجلس على الطعام جلسة صحيحة: {كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل متكئاً}. في حديث أبي جحيفة عند الإمام البخاري : {إني لا آكل متكئاً}. وفسر ابن الأثير الاتكاء الميل على أحد الجانبين عند عامة الناس. ومهكن أن يفسر الاتكاء أيضاً بأنه التربع. ولكن جلس النبي صلى الله عليه وسلم متربعاً. والمشهور عند الناس أنه الميل. وذلك فيه أضرار عند الأكل وعند الشرب ذكر ذلك الأطباء. فيجتنب الأكل والشرب حال الاتكاء. فإن ذلك يضر. ولك أن تأكل من ذلك الطعام بعد تسمية الله سبحانه وتعالى بأدب وإذا فرغت من ذلك لعقت أصابعك. كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلعق الأصابع ولعق الصحفة. وقال: {إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة}. ولك أن تغسل. ولك أن توسع يدك. ثبت عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يُلعقها}. دل هذا على جواز المسح وأن اللعق مقدم عليه. وهما يدل على جواز غسل اليدين بعد الطعام. ما ثبت عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: {أن النبي صلى الله عليه وسلم دعي لطعام قال: فتبعناه. فلما أكلنا وفرغنا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم. الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ومدانا وكفانا وآوانا ومن كل بلاء حسن أبلانا. الحمد لله غير مكفي ولا مودع ولا مستغن عنه ربنا. الحمد لله الذي يطعم من الطعام ويسقي من الشراب ويكسي من العري ويهدي من الضلالة. الحمد لله رب العالمين}.. الحديث. شاهدنا بعد أن فرغ من الطعام وغسل النبي صلى الله عليه وسلم يده أو يديه هكذا في الرواية في الصحيح. أما الغسل قبل الطعام فقد جاءت فيه أحاديث ذكرها البيهقي في سننه. وكل طريق من تلك الطرق فيها متروك. ولكن لا بأس بذلك تنظفاً وليس معناه أنه سنة من السنن كما هو سنة في آخر الطعام.

هذا ويكره النفخ في الطعام والنفخ في الشراب. فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتنفس أثناء الشرب ثلاثاً خارج الإناء. وذلك أطيب وأنفس للصحة وأقوى للصحة.

ونهى رسول صلى الله عليه وسلم عن ذم الطعام قال أبو هريرة رضي الله عنه: {ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن لم يشته تركه}. ومعنا يدل أن الإنسان لا يأكل طعاماً لا يشتهيه. وأنه إن أكل طعاماً لا يشتهيه يضر به. كما ذكر الأطباء في ذلك كابن القيم وغيره. وليس من ذم الطعام أن يقول الإنسان: أجد نفسي تعافه. فقد ثبت عن ميمونة وعن ابن عباس : {أن أم حفيد قدمت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاماً فيه سمن وأضب -الضب معروف-. فالنبي صلى الله عليه وسلم أما أخبر أنه لحم ضب وقف عن أكله وقال: أجد نفسي تعافه}. ليس هذا من ذم الطعام. {قال خالد بن الوليد: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: لا. قال: فاجتررته وأكلته. والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ذلك الطعام لم ينكر عليه. قال ابن عباس: لو كان حراماً لنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم}.

بل ينبغي كما ذكر النووي رحمه الله في كتاب الأذكار وابن القيم في الزاد مدح الطعام وليس على الإطلاق. أما روى وسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم {سأل الطعام. فقدموا له خلاً. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل من ذلك الخل. ويقول: نعم الإدام الخل. نعم الإدام الخل}. قال ابن القيم رحمه الله: أي: في ذلك الحال وفي ذلك الحين. وليس هذا مدحاً للخل على غيره من الأطعمة التي هي أفضل منه. ولو قدم إليه لحم أو عسل لكان أولى بالمدح. ولكن تواضعاً وتطييباً لخاطر من قدم ذلك الطعام.

هذا ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

والحمد لله.